توجيه الفرد والأمة

للاستاذ هادي العطاس

— ٢ —

الوحدة القياسية

وعزيزة حب الوطن اذا تمكنت جذورها من اعماق قلب الانسان ، يندفع من قرارة نفسه الى العمل بخلاص لواجب الشعب ، ولنجعل « ليكرغوس » السبرطي اليوناني وحدة مقياسية ، فانه جاء صورة دقيقة لعصره ، ولسانا ناطقا يعبر عما يختلج السبرطيين (١) في ذلك الحين ، وقد صدف طغيان موجة الشك على اليونان ، المنبعثة من تنديد الشعراء بآلهة ينسب اليها النقص والفجور ، وانها غير جديرة بالعبادة والتقديس في وقت تنكرت نفوس العامة من حكومة الأشراف الجائرة العابثة بالخرافات والاساطير ، فاحدث الشعراء موجة التطور في كل نواحي الحياة .

وكان للشعر الهوميري خاصة تأثير لا يقدر ، ليس على الدين فحسب ، بل حتى على آدابهم وعلومهم ، يوم كانت حكومة النبلاء محجرة على العقول ومسيطرة حتى على القلوب في العالم اليوناني بكل ما اوتيت من حول وطول وقوة ، والنفوذ الديني كان لاساطين الالحاد والمادة ، فكان من الطبيعي أن ذلك الضغط يولد انفجاراً فجائياً ، مثل انفجار البراكين في الارض الصلبة ، وكانت النفوس جاهزة لقبول أي تعاليم جديدة ، تنقذها من تلك السطوة والاستطالة ، ومستعدة استعداداً تاما يتاخرس فيها المفكرون من روح التذمر والانتقام كي تخلع اغلال التقاليد الدينية من عنقها ، ومتى يحدث هذا الانفجار ؟ ومن أي نفس يأتي ! ؟ .

ان النفس الشاعرة تكون أشد احساساً من غيرها ، واكثر نزوعاً الى الحرية التي يتطلبها الروح الشاعر ، فتبرك تلك الحية الغريبة عنه انطباعات عميقة من الألم في شعوره واحساسه الحاد وعاطفته الرقيقة . اولدت تلك الانطباعات تهيجاً شديداً فيه ، فاخذ يغرد كالبلبل السجين بين الحنينة والانين حزناً على حريته المنتضمة .

ولما تكدست تلك الانطباعات في القلب الشاعر ، اثرت فيه اثراً بليغاً ، حتى اذا وجد الظرف قابلا لان يعلن ثورته ضد تشريعات النبلاء واساطين الالحاد ، انفجر بركان التأثرات العميقة في قلب « هومير » واضرابه ، وتدفقت الافكار والآراء تدفقاً غير منتظر ، بعثه الوحي الالهامي واخذ يحارب التقاليد الدينية محاربة شديدة ، ليحطم قيود الاديان السائدة على العقول ، ويخلصها من سيطرة المعتقدات الذميمة ، ويسترد لها حريتها ، ليجعل الضعيف يسير الى جنب النبيل ، دون ان يحلم الثاني بأي تفوق على الاول ، بل يرى نفسه ونفس الضعيف شرع سواء في نظر العقل ، ولا تفاضل بينهما في شرع الانسانية ، واذ ذاك اندكت الارستقراطية وقام على انقاضها بناء الديمقراطية ، وفي الوقت نفسه صادف نبوغ المشرع الأعظم (١) « ليكرغوس » فانقذ شعبه من

(١) سبارطة احدى مدن بيلوبونسس (شبه جزيرة المورة) الواقعة في القسم الجنوبي من بلاد اليونان ، والسبارطيون شرذمة صغيرة بين شعب خاضع لهم

(١) اطلق السبارطيون هذه الكلمة على ليكرغوس وكان نبوغه في اواخر القرن التاسع . ق م .

حكومة النبلاء الارستقراطية ، وخلق امة ذات دستور يتفق وروح العدل والاخلاص .

فاول شيء قام به هو تنظيم الدستور الاساسي السبارطي الذي يقضي بأن تكون الحكومة مؤلفة من ملك ونائبه ، ومجلس شيوخ ، ومجلس عام ، ولجنة اجراء مؤلفة من خمسة اشخاص

اما مجلس الشيوخ ، فقد حرم الدستور ان ينال حق العضوية فيه من كان سنه دون الستين ، وان لا يزيد عدد اعضائه على ثمانية عشر شخصاً ، والملك ونائبه ، وكانت واجباته قضائية وتشريعية .

واما المجلس العام فمؤلف من تجاوز سنه ثلاثين عاما من كل السبارطيين ، وخول ان يسن الشرائع ، ويحكم بمسألتي العلم والحرب ، اما الملك فقد كانت سلطته اسمية الا في زمن الحرب .

وبعد ان أتم الدستور ، وجه جهوده الى اقتصاديات الشعب فرأى الاراضي الزراعية في ايدي الاغنياء ، وافراد الشعب عمالا ، يتقاضون اجوراً زهيدة في استثمار الارض لا تفي باسباب اعاشتهم ، مضافا الى ذلك إنهم يعاملون الفلاحين معاملة العبيد ، وهذا الوضع لازمه تدهور البلاد وانحطاطها الى الحضيض ، اذا لم يتلافه ، وينشل الشعب بنظام اقتصادي يكفل له التقدم الى ابعد مدى .

وأي طريق يوصل ليكرغوس الى محاولاته السامية ؟ لاشك أن نبوغه اهداه الى الطريق التي تحقق امانيه لشعبه ، فرأى من الواجب ان يكون لكل انسان حرقطعة من الارض كافية لاعالته ، فاعاد توزيعها على العموم .

ثم اراد ان يضرب على النفوذ الأجنبي بيد حديدية ويمنع تسربه الى بلاده ، وان يحتفظ بثروة شعبه ، خشية ان تصيبه ازمة اقتصادية تكون سبب حتفه ، فصنع نقوده من الحديد وكان ثمن شيء زهيد يحتاج حمله الى ثورين (١) وكان من همه في ايجاد هذه النقود ان يمنع استعمالها شراء الامتعة الاجنبية وترغب الاجانب عنها ، وبهذا إستطاع ان يحتفظ بثروة بلاده ويمنع تسرب النفوذ الاجنبي اليها ، لأن التجارة من أهم الاسباب المعبدة طرق الاستعمار والممهدة له السبيل كما عدت التجارة الطريق للامة الفينيقية العربية بالأمس ، وللامم الغربية اليوم ، فاحدثت لها مستعمرات لم تغب الشمس عنها .

ثم لفت نظر « ليكرغوس » شيء آخر له خطورته في حياة السبارطيين ، هو الترف في الحياة ونعومة العيش والاسراف في الموائد ، وهذا كل ما يأتيه الاغنياء حسب عاداتهم ، فجعل التجارة محظورة على السبارطيين ، لانها الباب الذي يسلك منه الى الترف والنعيم ، واشغل اوقاتهم في الصيد والتمرن ، والرياضة الجسدية ، والتمرينات العسكرية ، وجعلهم على مائدة عامة . مكونة من طحين ولحم صيد اوقطع من الذبائح وهذا يقوم كل سبارطي بتأدية قدرفي هذه الاطعة العامة . حتى اعتادوا على خشونة اللباس وخشونة الطعام . فزهد كل سبارطي في الحياة واحتقرها . وكان يفضل الموت على الحياة في سبيل إعلاء كلمة شعبه وهذا كل ما أراد « لكرغوس » ولم يرد إلا ان يخلق من شعبه قوة عسكرية حربية . تستعذب كأس المنية . وتستحلي مرارته لتحقيق آمال شعبه . وصيانة عزه .

واراد ان يجعل الخشونة والفتوة غريزة ذاتية . تتمشى الى جنب غريزة حب الذات والوطن . فعين ضباطاً أوكل اليهم تهذيب الاحداث وتربيتهم . وكان تهذيب العقل يكاد يكون فيما يؤهلهم للاستعداد الحربي وكان الغرض ان تكون

---

(١) كانت واسطة النقل عندهم داخل المدن الثور